موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

محاضرات وندوات مصورة

ندوات الاردن

info@nabulsi.com
www.nabulsi.com

ندوات مصورة - الأردن - محاضرة في السلط : المنتدى العالمي للوسطية - المبعوث رحمة للعالمين
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2009-04-08

بسم الله الرحمن الرحيم

معرفة رسول الله جزء من الدين :

أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل حينما قال:

(وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)

[سورة هود: 120]

إذا كان قلب سيد الخلق وحبيب الحق يزداد ثبوتاً بسماع قصة نبي دونه فلأن يمتلئ قلبنا إيماناً، وقوة، ويقيناً، بسماع قصة سيد الأنبياء والمرسلين من باب أولى، مرة ثانية:

(وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)

[سورة هود: 120]

إذاً ما الذي يمنع أن نلتقي مع بعضنا بعضاً في بيت، أو في مسجد، ونتحدث عن شمائل النبي عليه الصلاة والسلام، عن أخلاق النبي، عن كمالات النبي، عن هذا الإنسان الأول الذي أقسم الله عز وجل بعمره، يا سيدي يا رسول الله، يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ، يا من قدست الوجود كله، ورعيت قضية الإنسان، يا من زكيت سيادة العقل ونهنهت غريزة القطيع، يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع، فعشت واحداً بين الجميع، يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك.

أيها الأخوة الكرام، إذا قال الله عز وجل:

(وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)

[سورة هود: 120]

فلأن يمتلئ قلبنا إيماناً بسماع قصة سيد الأنبياء من باب أولى، وإذا قال الله عز وجل:

(أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ)

[سورة المؤمنون:69]

كأن الله يدعونا بصريح هذه الآية أن نعرف رسول الله، بل إن معرفة رسول الله، إن معرفة سنته القولية، والفعلية، والعملية، إن معرفة شمائله، جزء من الدين، قال تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ)

[سورة سبأ: 46]

آيات ثلاثة تدعوك إلى معرفة رسول الله، ما الذي يمنع أن نجتمع في بيت الله نتحدث عن أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام، عن منهج النبي، هذا من صلب الدين، بل إن الاجتماع والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يندرج تحت الدعوة إلى الله، وقد يكون على مدى العام.

الاحتفال بعيد المولد النبوي بدعة و ليس عبادة :

أيها الأخوة الكرام، أما إذا قلت: إن الاحتفال بعيد المولد عبادة، فهو بدعة، أن نجتمع ونتحدث عن شمائل النبي، عن أخلاق النبي، عن منهج النبي، عن كمالات النبي، هذا من صلب الدين، بل من صلب الدعوة إلى الله، أما إذا قلت: الاحتفال بعيد المولد عبادة، فهو بدعة، العبادات لا يضاف عليها، ولا يحذف منها، عقائد المسلمين وعباداتهم لا يجوز أن يضاف عليها شيء لقوله تعالى:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

[سورة المائدة: 3]

الله عز وجل لا يقبل دعوى محبته إلا بالدليل :

أيها الأخوة الكرام، لكن نحن حينما نحتفل بذكرى مولد النبي عليه الصلاة والسلام صدقوا ولا أبالغ، إذا ابن جاهل أمي لا يقرأ ولا يكتب، وله أب عالم، وأمضى كل حياته في مدح أبيه، هل يرقى الابن؟ لا يرقى الابن إلا إذا سار على طريق والده وطلب العلم، إذا أمضينا أسبوعاً بمدح النبي عليه الصلاة والسلام، وأثنينا عليه، وتحدثنا عن كمالاته، ولم نتبعه، لن ننتفع بهذا شيئاً، لذلك الله عز وجل ما قبل دعوى محبته إلا بالدليل، قال تعالى:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ)

[سورة آل عمران: 31]

كنت مرة في العمرة، وفي الروضة الشريفة، وتاقت نفسي بأن أصلي بمصلى النبي عليه الصلاة والسلام، وانتظرت ساعة حتى أتيح لي ذلك، وصليت، بعد أن انتهت الصلاة جاءني خاطر، لو أن أستاذاً كبيراً يحمل دكتوراه، وعنده مستخدم أمي لا يقرأ ولا يكتب، في أثناء غيبته جلس في مقعده، هل يرقى إلى مستواه؟ لا.

الكلمة الأولى بهذا اللقاء الطيب لا نرتقي إلا إذا اتبعنا سنة النبي عليه الصلاة والسلام، الاتباع مسعد ومريح، لا نرتقي إلا إذا اتبعنا سنته.

بطولة الإنسان أن يطبق منهج النبي عليه الصلاة و السلام في حياته :

أخوتنا الكرام، آية أصل في هذا الموضوع دققوا:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

[سورة الأنفال : 33]

الآية واضحة تماماً في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، لكن ما معناها بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى؟ أي مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن يعذب الله أمة محمد ما دامت سنته قائمة في حياتهم، مستحيل وألف ألف مستحيل أن يعذب الله أمة النبي الكريم إذا كانت مطبقة لسنته في حياتها، فإن هجرت سنته، واكتفت بالاحتفال، لا تنتفع بهذه الآية، البطولة أن نتابعه، البطولة أن نقتدي به، البطولة أن نطبق منهجه في حياتنا اليومية.

أليس هذا الموضوع في حقيقة الاحتفال بعيد المولد هو موقف وسطي؟ هناك تطرفان، هناك من يحرم أشد التحريم الاحتفال بعيد المولد، وهناك من يجري بالاحتفال بدعاً ما أنزل الله من سلطان، رقص أحياناً من النساء، وبدع، وتجاوزات لا يعلم بها إلا الله، فنحن نتحدث عن شمائله، عن سنته، عن كمالاته، وننتفع بهذا، وندرج هذا تحت باب الدعوة إلى الله، هذه واحدة.

مشروعية الاحتفال بعيد المولد النبوي على أنه مندرج تحت الدعوة إلى الله

الآن لماذا يصلي أحدكم؟ الجواب لأن الصلاة فرض، نسأله لماذا تتوضأ للصلاة؟ فيقول: لأن هذا الفرض لا يتم إلا بالوضوء، لذلك علماء العقيدة ـ علماء الأصول ـ اتخذوا قاعدة، ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، وما لا تتم السنة إلا به فهو سنة، الآن هذه القاعدة سوف أستخدمها لحقيقة خطيرة، ألم يقل الله عز وجل:

(وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)

[سورة الحشر: 7]

كيف نأخذ ما آتانا وننتهي عما عنه نهانا إن لم نعرف ما الذي آتانا وما الذي نهانا؟ هذا أمر إلهي، وقال علماء الأصول: كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة تصرفه عن الوجوب، والأمر:

(وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)

[سورة الحشر: 7]

كيف نأتمر بما أمرنا وكيف ننتهي عما عنه نهانا إن لم نعرف ما الذي أمرنا به وما الذي نهانا عنه؟ إذاً الحقيقة الأولى: مشروعية الاحتفال بعيد المولد، على أنه مندرج تحت الدعوة إلى الله.

على الإنسان أن يتابع أقوال النبي الكريم كي يستطيع أن ينفذ أوامره :

الحقيقة الثانية لا بد من أن نتابع أقوال النبي عليه الصلاة والسلام كي نستطيع أن ننفذ هذا الأمر:

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)

[سورة الحشر: 7]

معرفة سنة رسول الله القولية و العملية فرض عين على كل مسلم :

الآن ألم يقل الله عز وجل:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)

[سورة الأحزاب: 21]

كيف يكون الرسول أسوة لنا إن لم نعرف سيرته؟ أقول لكم وأنا أعني ما أقول ومعي الدليل، ولولا الدليل لقال من شاء ما شاء، معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية فرض عين على كل مسلم، ومعرفة سنته العملية التطبيقية أي سيرته فرض عين على كل مسلم، أي ينبغي أن يكون في بيت كل منا كتاب سيرة، اسأل العلماء الأفاضل عن كتاب سيرة، وكتاب أحاديث، فأنت من لوازم إيمانك أن تتعرف إلى أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام كي تأتمر بالأمر وتنتهي عما عنه نهى، وأنت أيضاً ينبغي أن تتخذه قدوة لك، النبي كان زوجاً، كان يقول: "أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً، فإنهن المؤنسات الغاليات"، كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، هكذا كان، إذاً هو قدوة لنا في بيوتنا.

أما المرأة يقول لها النبي عليه الصلاة والسلام:

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله ـ يعدل الجهاد في سبيل الله ـ))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

فحينما تتحرك المرأة لتعتني بزوجها وأولادها فهي مجاهدة في سبيل الله، وحينما يكرم الرجل زوجته فقد طبق سنة النبي عليه الصلاة والسلام، فلذلك كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، كان يقول: "الحمد لله الذي رزقني حب عائشة"، حينما فتح مكة، دعته بيوتاتها ليبيت عندهم فقال لهم: لا، انصبوا لي خيمة عند بيت خديجة، وركز لواء النصر أمام قبرها ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر هي شريكته في النصر، هذا تكريم المرأة.

قراءة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ضروري لكل مسلم :

لماذا ينبغي أن نقرأ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لنرى كماله في بيته، لنرى كماله مع أصحابه، لنرى تواضعه، لنرى رحمته، كان في الجهاد في رمضان، وكان الحر شديداً، فأمسك بكأس ماء، وشرب، وأمر أصحابه أن يفطروا، ومن هنا رخصة الإفطار في رمضان للمسافر، بلغه أن بعض أصحابه لم يفطروا فقال: أولئك هم العصاة، إذا الله عز وجل أعطاك رخصة، صحتك ملك أهلك، ملك زوجتك، ملك أولادك، ملك أمتك، فلذلك علمنا النبي ألا نتأبى عن الرخص.

((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ))

[أحمد عَن ابْنِ عُمَرَ]

هذا الموقف رائع جداً، دعته زوجته لأخذ قسط من الراحة فقال: انقضى عهد النوم يا خديجة، كان يحمل همّ أمته، بل كان يحمل همّ البشرية جمعاء.

يوم كان طفلاً دعاه أترابه إلى اللعب معهم فقال لهم: أنا لم أخلق لهذا، خُلق ليلقي النور في أرجاء الأرض.

أيها الأخوة الكرام، النقطة الدقيقة في هذا الموضوع معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية فرض عين على كل مسلم، ومعرفة سيرته العملية فرض عين على كل مسلم، لذلك أتمنى أن يكون هذا اللقاء الطيب باعثاً لنا على أن نجلس مع أولادنا كل يوم نقرأ بعض الأحاديث الشريفة، وبعض المواقف الرائعة من سيرته صلى الله عليه وسلم.

المعجزة الحقيقة شهادة من الله للنبي أن هذا الإنسان رسوله :

أيها الأخوة، هناك سؤال دقيق أن كل نبي جاء قومه بمعجزة، والمعجزة الحقيقة شهادة من الله لهذا النبي أو لهذا الرسول أن هذا الإنسان رسوله، بالضبط، لأن إنساناً يقول أنا رسول الله، معه منهج افعل ولا تفعل، معه شيء حلال، شيء حرام، الذين ألفوا المعاصي يكذبونه، قال تعالى:

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً)

[سورة الرعد: 43]

الأنبياء السابقون كانوا لأقوامهم، كل نبي أعطاه الله معجزة، أما النبي عليه الصلاة والسلام فرحمة للناس كافة، أرسله الله رحمة للعالمين، فهو آخر الأنبياء والرسل، وكتابه خاتم الكتب، فلا يعقل أن تكون المعجزة حسية، المعجزة الحسية كعود الثقاب يتألق ثم ينطفئ، ويصبح خبراً، يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه، أما النبي عليه الصلاة والسلام فلكل الأمم والشعوب، وكتابه خاتم الكتب، فلابد من أن

تكون معجزته علمية، أي في القرآن إعجاز علمي، هذا الإعجاز يشهد لرسول الله أن هذا القرآن الكريم كلام الله، وأن الذي أنزل عليه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

توجيهات النبي الكريم في ذبح الدابة :

أيها الأخوة الكرام، النبي عليه الصلاة والسلام أعطى توجيهاً لأصحابه في ذبح الدابة، ينبغي أن نذبح الدابة من أوداجها فقط دون أن نقطع رأسها، إنسان أمي أرسله الله لكل الأمم، عاش قبل ألف وأربعمئة سنة، يقول: لا تقطعوا رأس الدابة اذبحوها من أوداجها، لمَ؟ لا أحد يعلم، ولا يمكن أن يوجد في الأرض في كل بقاع الأرض وقت نزول الوحي وبعثة النبي مركز علمي يستطيع تفسير حكمة أن نذبح الدابة من أوداجها دون أن نقطع رأسها، ولا بعد خمسين عاماً، ولا بعد مئة عام، ولا بعد مئتي عام، ولا بعد ألف عام، ولا بعد ألف و أربعمئة عام، هناك مركز علمي يستطع أن يعرف حكمة هذا التوجيه.
الفكرة سأحاول شرحها أيها الأخوة الكرام، القلب ينبض ثمانين نبضة بأمر ذاتي منه، ليس له علاقة بالشبكة الكهربائية العامة، عنده مولد كهربائي ذاتي، لو تعطل هذا المركز هناك مركز ثان كاحتياط، لو تعطل الثاني هناك مركز ثالث، ثلاثة مراكز كهربائية من أجل أن تعطي أمراً بالنبض، هذه المراكز تعطي أمراً بالنبض النظامي، ثمانون نبضة بالدقيقة فقط.
إنسان يمشي في بستان، وجد ثعباناً، ما الذي حصل ؟ انطبعت صورة الأفعى على شبكية العين إحساساً، الشبكية لا تقرأ الصورة، نقلتها إلى الدماغ، إلى مركز الرؤية ، هناك تقرأ الصورة، كيف تقرأ؟ هناك ملفات الأفعى والثعبان، هذا الملف جاء من درس بالعلوم عن الأفعى، سمع قصة من جدته عن الأفعى، رأى مرة أفعى، رأى أفعى محنطة مثلاً، فهذه المعلومات والدراسات تشكل ملفاً اسمه ملف الأفعى، فهذا الملف موجود بالدماغ، فلما انتقلت صورة الأفعى من الشبكية إلى الدماغ، الدماغ قرأ الصورة في ملفات الأفعى والثعبان، الدماغ ملك الجهاز العصبي أوامره كهربائية يلتمس من ملكة اسمها الغدة النخامية، ملكة الغدد جميعاً، هذه الملكة ملكة لأنها ند لند، يلتمس منها أن تواجه الخطر، هناك ضابط اتصال بينهما تحت السرير البصري، الغدة النخامية ملكة النظام الهرموني والدماغ ملك النظام العصبي، الملك يلتمس من الملكة أن تواجه الخطر أن يوجد أفعى، ماذا تفعل هذه الغدة؟ توجه أمراً إلى وزير الداخلية اسمه الكظر كي تواجه الخطر، ماذا تفعل غدة الكظر؟ تعطي خمسة أوامر، أول أمر إلى القلب برفع النبض إلى مئة وثمانين نبضة، مئة وثمانون نبضة لا تأتي من مركز القلب تأتي من الكظر، الخائف لو قست نبضه لوجدته مئة وثمانين نبضة.

الأمر الثاني إلى الرئتين لتزيد في وجيبيهما، حتى التنفس يتناسب مع مد القلب السريع، الأمر الثالث إلى الأوعية المحيطية تضيق لمعتها فيصفر لونه، يرسل الكظر أمراً رابعاً للكبد بإرسال هرمون التجلط، الآن نريد أن نذبح الدابة، مهمة القلب بعد ذبح الدابة أن يفرغ الدم من الدابة، لو قطعنا الرأس لبقي النبض ثمانين نبضة فيخرج ربع الدم فقط، أما المئة وثمانين فتخرج كل الدم، هذا علم من؟ لي صديق ذهب إلى بلد آسيوي لشراء اللحوم لسوريا، فلما طلب الذبح بهذه الطريقة رفعوا السعر، قالوا: نحن عندنا خمسة كيلو غرامات من الدم، معنى هذا أن النبي عليه الصلاة والسلام الأمي الذي أتى قبل ألف وأربعمئة عام حينما وجه أصحابه ألا يقطعوا رأس الدابة كان هذا لحكمة بالغة.

الحكمة من عدم وجود أحاديث عن الإعجاز العلمي :

أيها الأخوة الكرام، في كل أنحاء العالم، تعلق الدابة من رجليها ويقطع رأسها كلياً، يكون اللحم أزرقاً لأن أربعة أخماس الدم بقي في جسم الدابة، أما التي ذُبِحَت وفق الشريعة الإسلامية فذات لون زهر، كل الدم خرج بفضل بقاء الرأس موجوداً، الآن بعدما درسوا القلب، ومراكز القلب، والغدة النخامية، والكظر، والأوامر الاستثنائية علموا الحكمة، الشيء العجيب أن في القرآن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون ولا يوجد أي حديث يتحدث عن هذه الآيات، بأقل موضوع هناك أربعمئة حديث، لماذا؟ ألف وثلاثمئة آية ولا يوجد أي حديث؟ سكت النبي عليه الصلاة والسلام عن هذه الآيات لحكمة، لو أنه شرحها شرحاً مبسطاً يفهمها أصحابه لأنكرنا عليه، ولو أنه شرحها شرحاً عميقاً لأنكر عليه أصحابه، تركت هذه الآيات للإعجاز العلمي كلما تقدم العلم كشف عن جانب من جوانبها.

كلام النبي عليه الصلاة والسلام ليس من اجتهاده إنما هو وحي يوحى من الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام، أنا منذ دعوتي منذ خمس وثلاثين سنة أرفض أن تقول: زائدة دودية، هل تقبل من شركة سيارات راقية جداً أن يكون هناك نتوء بالسيارة؟ من أيام جاءتني رسالة من بلاد بعيدة تؤكد أنه بخلاف ما كان الأطباء يتوهمون هذه الزائدة الدودية بحسب تسميتهم لها وظيفة خطيرة، اكتشفت في وقت متأخر جداً، وليس صحيحاً أن استئصالها ليس له مضاعفات إطلاقاً، لذلك ينبغي أن نسميها الذائدة الدودية وليست الزائدة، وفرق كبير بين الذائدة ـ أي المدافعة ـ وبين كلمة الزائدة التي توهم أن لا وظيفة لها .

عندنا طبيب من دمشق أستاذ بالجامعة منذ ثلاثين سنة، مُصر على أن شرب الماء مع الطعام لا شيء عليه بل ضروري، النظريات الطبية منذ ثلاثين سنة يجب ألا تشرب مع الطعام ماء، هذا الطبيب في

دمشق مؤمن أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام وحي من الله لا ينطق عن الهوى، إلا أن ظهرت الحقيقة أن شرب الماء مع الطعام يسهل الهضم.

أيها الأخوة الكرام، كلام النبي عليه الصلاة والسلام ليس من اجتهاده، ولا من ثقافته، ولا من معطيات بيئته، إنما هو وحي يوحَى من الله عز وجل، مثلاً النبي نهى عن بيع الدين، الدين لا يباع، أول مصرف أعلن إفلاسه في أمريكا هذا المصرف وظيفته الأولى شراء الدين، والدين في الإسلام ممنوع أن يشترى، تقدم للمصرف خمسمئة مليون سندات، هذا المصرف ماذا يفعل؟ يبيع هذا الدين خمسين مرة، فهذا من توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام.

سيرة النبي الكريم ينبغي أن تكون منهجاً للمسلمين في كل زمان و مكان :

أيها الأخوة، صدقوا ولا أبالغ، إن لم تكن سيرة النبي عليه الصلاة والسلام منهجاً لنا لن ننتفع من هذا المنهج، كان النبي عليه الصلاة والسلام في سفر وأرادوا أن يعالجوا شاةً، فقال أحدهم: عليّ ذبحها يا رسول الله، فقال الثاني: وعليّ سلخها، وقال الثالث: عليّ طبخها، فقال عليه الصلاة والسلام: وعليّ جمع الحطب، فقالوا: نكفيك ذلك يا رسول الله، قال: أعلم أنكم تكفوني، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه.

طبقوا هذا، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه.

في بدر الرواحل ثلاثمئة، والصحابة ألف، فسيد الخلق أعطى أمراً، هو قائد الجيش، وزعيم الأمة، قال: كل ثلاثة على راحلة، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة، سوى نفسه مع أقل جندي، ركب الناقة، فلما جاء دوره في المشي توسل صاحباه أن يبقى راكباً فقال: ما أنتما بأقوى مني على السير، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر.

أقسم لكم بالله ـ ولا أحنث إن شاء الله ـ لو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما نفهمه نحن لما خرج من مكة المكرمة، أما أن يصل إلى الصين شرقاً، و إلى مشارف باريس غرباً، فبفهم عميق.

صحابي في أثناء هجرته قبض عليه المشركون، قال لهم: عهد الله إن أطلقتموني فلن أحاربكم، فأطلقوه، فلما جاء النبي عليه الصلاة والسلام وحدثه بما حصل فرح فرحاً شديداً، لكن بعد فترة من الزمن كان هناك غزوة، فمن شدة تلهف هذا الصحابي الذي عاهد المشركين ألا يقاتلهم انخرط في عداد هذه الغزوة، فقال له النبي: ارجع ألم تعاهدهم؟.

الإسلام مبادئ وقيم :

هذا الإسلام، الإسلام مبادئ، لما طبق المسلمون المبادئ وصلوا إلى الخافقين، فلما أصبح الإسلام عبادات شعائرية، والتعامل غير إسلامي، والعلاقات غير إسلامية، والبيت غير إسلامي، والأفراح غير إسلامية، والأحزان غير إسلامية، رأيتم ماذا حصل، البطولة أن نطبق منهج النبي عليه الصلاة والسلام:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

[سورة الأنفال: 33]

مكانة الأب شيء كبير، هذا الذي جاء ليجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألك أبوان؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد.

هذه التي قالت: إن زوجها صوام قوامـ امرأة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهناك امرأة ثانية شكت زوجها لسيدنا عمر، قالت: إن زوجي صوام قوام، فقال لها: بارك الله بزوجك، فقالوا له: إنها تشكي زوجها.

فلما سئلت من قِبل السيدة عائشة قالت لها أيضاً: إن زوجي صوام قوام، النبي استدعاه وكان عثمان بن مظعون، فأقنعه أن يلتفت إليها، فجاءت بعد حين إلى السيدة عائشة عطرة نضرة متألقة، فقالت: ما الذي حلّ بكِ ؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس .

أيها الأخوة الكرام، عندما كان الحسن والحسين يتعثران في المسجد فنزل من على المنبر وحملهما وعاد إلى المنبر، كان الحسن والحسين يرتحلاه وهو سيد الخلق، كان يحب الصغار، كان يسلم على الصغار ويدعوهم لركوب الدابة.

يا أيها الأخوة الكرام، اقرؤوا سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله، هذا أكبر داعية في الأرض، أعظم نبي، أكبر قائد، يرتحله ابن ابنته على ظهره وهو في الصلاة يؤخر السجود إكراماً له .

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: الحمد لله الذي رزقني حب عائشة، محبة الزوجة فرع من محبة الله عز وجل، هذه حبيبتك، الشيطان بالمناسبة ليس له له هدف أكبر من التفريق بين الزوجين، وما تواد اثنان في الله ففرق بينهما إلا بذنب أصابه أحدهما.

توجيهات النبي عليه الصلاة و السلام للمسلمين :

أيها الأخوة الكرام، هؤلاء الخدم أطعموهم مما تأكلون، ألبسوهم مما تلبسون، لا تكلفوهم ما لا يطيقون، إذا كلفتموهم فأعينوهم:

((إِخْوَانُكُمْ، وَخَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ))

[متفق عليه عن المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ]

خادمة من بلاد بعيدة تكرم، تعطى حقها، لا تكلف ما لا تطيق، لا تسب، هذا بيت إسلامي، فالنبي عليه الصلاة والسلام إنسان عظيم، نحن يجب أن نطبق سيرته، هكذا يجب أن تعامل زوجتك، تعامل أمك، هكذا عامل جارك، أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مرض عدته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن مات شيعته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها.

النبي عليه الصلاة والسلام دخل إلى بستان رأى جملاً حن إليه، وذرفت عيناه، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفريه فسكن الجمل، وقال النبي عليه الصلاة: من صاحب هذا الجمل؟ قال فتى من الأنصار: هو لي يا رسول الله، قال له النبي الكريم: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه.

أمرنا أن نعتني بالحيوانات:

((دخلت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار ؛ لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عن ابن عمر]

الخدم، نالهم توصيات، الآباء، الزوجات، نسعد جميعاً إذا طبقنا سيرة النبي عليه الصلاة والسلام العملية، هذا النبي قدوة لنا لا بد من أن نتعلم سيرته، أفعاله، أصابه الفقر كان إذا دخل بيته يقول أعندكم شيء؟ يقولون: لا، يقول: فإني صائم.

أذاقه الله الغنى، مرة سأله أحد زعماء القبائل: لمن هذا الوادي من الغنم؟ قال: هو لك، قال: أتهزأ بي؟ قال: لا والله، هو لك، قال: أشهد أنك رسول الله تعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

أذاقه القهر في الطائف كذبوه، ونالوا منه، وضربوه، وسال الدم من قدمه الشريفة، قال: إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولك العتبى حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي.

((لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، ولَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَالِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلاَّ مَا وَارَى إِبْطُ بِلالٍ))

[مسند ابن ماجة عن أنس]

إخلاص النبي عليه الصلاة و السلام لمن نصره :

أيها الأخوة الكرام:

((لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا ...، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ))

[مسند أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

تصوروا إنساناً قوياً دانت له الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها، وسمع أن هناك استعصاء، أو هناك جهة لا ترضى عنه، يسحقها:

((قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا ؟ قَالَ : فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ))

والله أنا لا أشعر أن هناك كلاماً أبلغ من ذلك:

((قَالَ : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلالا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، قَالُوا : بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ : أَلا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ؟ قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلا فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ، أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ))

[مسند أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

هذه القصة أين مكانها؟ مع وفائه، مع تواضعه، مع حكمته، مع ذكائه، مع سياسته، مع إخلاصه لهؤلاء الذين نصروه؟

والله يا أخوان كلما قرأنا سيرة النبي عليه الصلاة والسلام نذوب حباً له، هو نبينا، هو أكمل الخلق، حبيب الحق، أقسم الله بعمره، نحن بحاجة إلى قراءة سيرته، وقراءة أقواله، وتطبيقها في سلوكنا، إذا

كانت ذكرى الاحتفال بعيد المولد لها أثر إيجابي طيب فيجب أن ترجع إلى أقوال النبي عليه الصلاة والسلام، وإلى سيرته.

مديح النبي الكريم من دون تطبيق لسنته لا قيمة له إطلاقاً :

أيها الأخوة الكرام، نحن دائماً نحتفل بهذه الذكرى، وأرجو الله أن يكون احتفالنا الآن طريقاً لتطبيق سنته، المديح من دون تطبيق لا قيمة له، ترون مليار وخمسمئة مليون ليست كلمتهم هي العليا، وليس أمرهم بيدهم، وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل، الله عز وجل قال:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي)

[سورة النور: 55]

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

[سورة مريم: 59]

وقد لقينا ذلك الغي، نحن مليار وخمسمئة مليون:

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

أرجو الله عز وجل أن يعيدنا إلى منهج النبي عليه الصلاة والسلام حتى نستحق هذه الآية:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

[سورة الأنفال: 33]

والحمد لله رب العالمين

ندوات مصورة - الأردن - محاضرة في عمان : المنتدى العالمي للوسطية (الوسطية والاعتدال منهج الأمة).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-04-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين توفيقي لا يضاف عليه ولا يحذف منه لأنه من عند الله :

أيها الأخوة الكرام، أيها المستمعون الأفاضل، إذا أردتم الدنيا فعليكم بالعلم، وإذا أردتم الآخرة فعليكم بالعلم، وإذا أردتم الدنيا والآخرة معاً فعليكم بالعلم، والعلم لا يعطينا بعضه إلا إذا أعطيناه كلنا، فإذا أعطيناه بعضنا لم يعطنا شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً، أزمة أهل النار في النار أزمة علم فقط.

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

[سورة الملك]

أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل يقول:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

[سورة المائدة الآية:3]

أي أن عدد القضايا التي عالجها الإسلام تام عدداً، وأن طريقة المعالجة كاملة نوعاً، فالكمال للنوع والتمام في العدد،

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

لذلك الدين توفيقي، بمعنى أنه لا يضاف عليه، ولا يحذف منه، لأنه من عند الله، وكمال الله كمال مطلق.

التجديد بالدين هو أن ننزع عنه كل ما علق به مما ليس منه :

لذلك أيها الأخوة لا يمكن أن نفهم التجديد، وهذه الكلمات تتردد كثيراً، وقد يتوهم الناس أن التجديد أن تضيف على الدين شيئاً، أو أن تحذف منه شيئاً بدافع التطور، بدافع الحياة المعاصرة، الدين توقيفي لا يحذف منه شيء ولا يضاف عليه شيء، لأنه من عند الله عز وجل، والدليل الأول:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

إذاً كيف نفهم هذه الكلمات التي كثيراً ما نستمع إليها، التجديد بالدين، لا يمكن أن تفهم التجديد إلا بطريقة واحدة، أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه، هذا هو الدين، فالدين أيها الأخوة كما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام دين الحق لا يأتيه الباطلُ من بين يديه، ولا من خلفه، فلما أُضيف عليه ما ليس منه، ولما حذف منه ما ليس منه، حينما أضيف عليه ما ليس منه تقاتلنا، وحينما حذفنا منه ما هو أصلي فيه اختلفنا، فالخلافات بين المسلمين وضعف المسلمين يعزى الخلاف إلى أننا أضفنا على الدين ما ليس منه، فأصبحنا شيعاً، وأحزاباً، وفرقاً، ومذاهب، وطوائف كلها تتصارع، لأننا أضفنا على الدين ما ليس منه، وحينما حذفنا منه ما عرف منه بالضرورة ضعفنا، إذاً:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

إعمار الدنيا واجب ديني ووطني وقومي :

لكن الله أمرنا أن نعمر الأرض، أن نطور حياتنا، أن نحل مشكلاتنا، أن نهيئ بيوتاً لشبابنا، أن نلغي العنوسة من مجتمعاتنا، أمرنا أن نستصلح الأراضي، أن نستخرج الثروات، أن نطور الصناعات، أن نرفع مستوى المعيشة، هذا كله نحن مطالبون به فأهملناه، والذي أمرنا أن نحافظ عليه دون أن نمسك به طورناه، المشكلة أننا ابتدعنا في الدين وقلدنا في الدنيا، والأصل أن نقلد في الدين وأن نبتدع في الدنيا، لأن إعمار الدنيا واجب ديني ووطني وقومي.

الغلو في الدين أوقع المسلمين في مشكلات لا تنتهي :

أيها الأخوة، ما الذي أوقعنا في مشكلات لا تنتهي؟ الغلو في الدين، الآية الكريمة:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)

[سورة النساء الآية:171]

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين))

[أخرجه النسائي وابن ماجه وأبو يعلى والإمام أحمد عن عبد الله بن عباس]

أيها الأخوة، الغلو: مجاوزة الحد، هذا الدين قرآن وسنة، القرآن قطعي الثبوت، وظني الدلالة، بعض آياته قطعية الدلالة، و علينا أن نفهمه وفق علم الأصول، ووفق فهم الصحابة الكرام، والتابعين، وتابعي التابعين، كما قال عليه الصلاة والسلام :

((خَيْرُ الناس قَرْني، ثم الذين يَلُونَهم، ثم الذين يَلُونَهم))

[البخاري و مسلم عن عمران بن حصين]

هذه هو القرآن كلام الله، حبل الله المتين، الصراط المستقيم، الدستور الإلهي الذي يربط المجتمعات الإلهية، ينبغي أن نفهمه وفق علم الأصول، وينبغي أيضاً أن نطبقه، بل إن الله عز وجل حينما قال:

(يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)

[سورة البقرة الآية:121]

أن تقرأه وفق قواعد اللغة، وأن تقرأه إن أمكن وفق قواعد التجويد، وأن تفهمه، وأن تدبره، أي أن تسأل نفسك مع كل آية أين أنت منها؟.

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)

[سورة الأنفال الآية:2]

هل يضطرب قلبك إذا قرأت القرآن الكريم؟.

مهمتنا أن نبحث عن المعنى من خلال أهل الذكر :

أيها الأخوة القرآن الكريم قطعي الثبوت، بعض آياته قطعية الدلالة، وبعض آياته ظنية الدلالة، مهمتنا أن نبحث عن المعنى من خلال أهل الذكر، قال تعالى:

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة النحل]

أما السنة فبعضها قطعي الثبوت وبعضها ظني الثبوت، مهمتنا مع السنة أن نتأكد من صحة نسبة النص إلى رسول الله، فكم من حديث موضوع هو سبب فرقتنا؟ و كم من حديث موضوع هو سبب اختلافنا؟ كم من حديث موضوع هو سبب تقاتلنا؟ النصوص إذا تأكدنا من صحتها اتفقنا وتعاونا، لأن الحق لا يتعدد، قالوا: الحق لا يتعدد، لذلك المعركة بين حقين لا تكون، وبين حق وباطل لا تطول، وبين باطلين لا تنتهي.

أيها الأخوة الكرام، أما الحديث فلابدّ من تحري صحة الحديث، وقد هيأ الله لهذه الأمة علماء كبار من علماء الحديث صنفوا الأحاديث إلى صحيحة، إلى متواترة، إلى حسنة، إلى ضعيفة، فحينما نقرأ حديثاً شريفاً يجب أن نهتم بصحة الحديث، وإلا قد نقع في إشكال كبير.

مثلاً: كل الناس هلكى إلا العارفون، والعارفون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، هذا الحديث موضوع، وضعته الزنادقة للتيئيس، في الحديث هناك حديث صحيح، وحديث ضعيف، وحديث موضوع، إذاً نحن مع الأحاديث بحاجة إلى حركتين، أن نتأكد من صحتها، وأن نفهمها من العلماء الربانيين، أما النص الآخر فلنا معه مواقف ثلاث؛ أولاً: أن نتأكد من صحة نسبته إلى صاحبه، ثم نتأكد من المعنى الذي أراده، ثم نقيسه بالقرآن والسنة فإذا وافقه فعلى

العين والرأس وإذا خالفه فلا علاقة لنا به، وينبغي أن نركله بأقدامنا، الكلام الموضوع يبئس، يفرق المسلمين، فينبغي ألا نهتم له.

لذلك أيها الأخوة الشيء الدقيق جداً ينبغي أن تعتقد، ينبغي أن تستدل ثم تعتقد، لكن بعض الناس يعتقدون أولاً ثم يستدلون، يريد هذه الفكرة يعتقدها وبعدها يبحث عن ربط يؤيدها، هذا غلو في الدين، استدل أولا ثم اعتقد، أما أن تعتقد أولاً ثم تستدل من أدلة ضعيفة أو غير صحيحة فهذه مشكلة كبيرة في الدين.

لذلك قالوا : إذا كنت ناقلاً فالصحة مدعياً فالدليل، العلم علاقة بين شيئين، مقطوع بصحتها، تطابق الواقع، عليها دليل، لو أن هذه العلاقة ليس مقطوع بصحتها، لكانت وهماً، أو ظناً، أو شكاً، والعلم ما كان يقينياً، مطابقة الواقع، إن لم يطابق الواقع فهو جهل، عليها دليل، فالعلم ليس تقليداً، وليس بعداً عن الواقع، وليس ظناً، وليس شكاً، وليس وهماً، علاقة مقطوعة بصحتها، تؤيد الواقع، عليها دليل.

الاختلافات بين العلماء تعود إلى الغلو الاعتقادي :

أيها الأخوة الكرام، الآن من الغلو في الدين ونحن في رحاب المنتدى العالمي من الوسطية، والوسطية تعني العلاج، تعني العدل، تعني القوة، تعني أن نكون وسطاء بين الله وبيننا، وفي هذا نبحث عن الاعتدال، قال الله تعالى:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين))

[النسائي عن عبد الله بن عباس]

أيها الأخوة، هناك غلو اعتقادي، مثلاً: أنت مختص بالتفسير ترى أن التفسير هو الدين، وأي فرع آخر لا قيمة له، هذا غلو، أن تأخذ فرعاً من فروع الدين وتجعله الأصل، هذه غلو في الدين، أو تأخذ جزءاً من الدين فتجعله كل الدين، أو أن تأخذ فرعاً من فروع الدين فتجعله أصلاً في الدين، هذا كله غلو في الدين، وما الاختلافات بين العلماء إلا من وراء هذا النوع من الغلو.

أنواع الاختلاف بين الناس :

1 ـ الاختلاف الطبيعي :

أيها الأخوة الكرام، سمعت قولاً أعجبني، لو أن المسلمين تنافسوا على الدنيا لتخاصموا لأنها محدودة، ولو تنافسوا على مرضاة الله وعلى طلب الآخرة لتحابوا.

(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)

[سورة المطففين]

لذلك الاختلاف يرد أحياناً إلى نقص المعلومات، هذا اختلاف طبيعي.

2 ـ الاختلاف القذر :

ويرد أحياناً أخرى الاختلاف إلى الأهواء و الحظوظ، قال تعالى:

(وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)

[سورة آل عمران الآية:19]

هذا اختلاف قذر أساسه الهوى.

3 ـ الاختلاف المحمود :

و هناك اختلاف محمود أساسه التنافس على الآخرة.

الغلو العملي :

أيها الأخوة الكرام، أما الغلو العملي، أيها الأخوة الأحباب، الغلو العملي أن تأخذ جانباً وتعنى به وتهمل بقية جوانب الحياة.

جاءت امرأة إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم تشكو زوجها قالت: إن زوجي صوام قوام، أي أهملها، فالنبي عليه الصلاة والسلام استدعى زوجها وقدم له نصيحة ثمينة، قال له: ألك بي أسوة؟ أنام وأقوم، أصوم وأفطر، آكل اللحم، وأتزوج النساء، هذه سنتي فمن رغب عنها فليس من أمتي، ثم قال: أشدكم خشية لله أنا.

في اليوم التالي جاءت زوجة هذا الصحابي إلى بيت السيدة عائشة عطرة نضرة، سألتها عن حالها، فقالت: أصابنا ما أصاب الناس.

أربع محطات في حياة الإنسان عليه أن يعتني بها :

1 ـ علاقته مع الله :

الإسلام وسطي، الزوجة لها حق، الأولاد لهم حق، عملك له حق، أنا أرى أيها الأخوة، أن هناك أربعة أشياء في حياتنا، أربع محطات لابدّ من أن نعتني بها معاً وإلا تطرفنا، ما هذه الأربع؟ علاقتك مع الله أولاً، أن تعرفه، أن تطيعه، أن تقبل عليه، أن تتقرب له بالعمل الصالح.

2 ـ علاقته مع أهله :

علاقتك مع أهلك وبيتك، قال عليه الصلاة والسلام:

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

الإنسان خارج البيت يتأنق، يتلطف، يتعطر، يبتسم، ينحني من أجل مصلحته، من أجل مكانته، لكن أخلاقه الحقيقية تبدو في البيت، لا رقيب عليه، ولا أحد يحاسبه، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

إذاً تعني الوسطية أن تؤدي حق الله عز وجل، وتعني الوسطية أن تؤدي حق أولادك، قال عليه الصلاة والسلام:

((أكرموا النساء فو الله ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيماً غالباً))

[ابن عساكر عن علي]

فالعناية بالأهل والأولاد جزء من الدين.

((أفضل كسب الرجل ولده))

[أخرجه الطبراني عن أبي بردة بن نيار]

ولم يبقَ في أيدي المسلمين اليوم من ورقة رابحة إلا أولادهم.

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ)

[سورة الطور الآية: 21]

ينبغي أن تعرف الله، أن تحضر دروس العلم ، أن تتابع المعلومات دينية، أن تقرأ القرآن، أن تفهم القرآن، أن تقرأ حديث النبي العدنان، وينبغي أن تعتني بأهلك وبأولادك، لذلك قال عليه الصلاة والسلام يخاطب النساء:

((اعلمِي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

أن تعرف الله، وأن تقبل عليه، وأن تحسن إلى خلقه، وأن تعتني بأهلك.

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

3 ـ علاقته بعمله :

المحطة الثالثة: أن تعتني بعملك الذي ترتزق منه، أن تتقنه، أن تطوره، أن تغني بلدك على أن تستورد، خدمة الأمة من الدين، تطوير الصناعات من الدين، استصلاح الأراضي من الدين، تأمين الغذاء للمواطنين من الدين، أنت حينما تعمل عملاً تخدم به أمتك أنت دين والله، أنت تؤدي حق الأمة عليك.

الوسطية تعني أن تعتني بمعرفتك بالله وعلاقتك به، وخدمة خلقه، وأن تعتني بأهلك وأولادك، فالنبي عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، يا ترى إذا دخل المسلم إلى بيته هل يكون العيد إذا دخل أم إذا خرج؟ هذا مقياس دقيق، العيد إذا دخلت أم إذا خرجت؟ إذا خرج بعض الأزواج تنفس الأهل الصعداء، لكن البطولة إذا دخلت أن تكون محبوباً، هذه الكلمة أقولها: نحن بالثقافة الإسلامية كل أب يحترم، وكل أم محترمة، لكن البطولة أن تكون أيها الأب محبوباً لا أن تكتفي من أولادك أن يحترموك، والبطولة أن تكوني أيتها الأم محبوبة لا أن تكتفي من أولادك باحترامك، نحن في الوسطية.

4 ـ علاقته بصحته :

أقول لكم بعض الحقائق: ما قولكم في مدينة في دولة عربية، عدد سكانها خمسة ملايين فيها خمسمئة ألف مريض في السكر، هذا المرض حدثنا عنه أستاذ في الجامعة قال: يمكن أن تتعايش معه طوال حياتك، مع ضبط الغذاء، وهناك بلد متفلت يتحول أربع و خمسون بالمئة من مرضى السكر إلى شلل، وإلى فقد بصر، وإلى أمراض وبيلة، و بلاد تتحول إلى أربعة بالمئة فقط.

إذاً أنت عندك صيام تعتني بصحتك، صحتك ليست ملكك، ملك أولادك، ملك زوجتك، ملك أمك وأبيك، ملك أمتك، فالعناية بالصحة من الدين، لما كان عليه الصلاة والسلام في بدر قال: كل ثلاثة على رحلة، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة، لما جاء دوره في المشي قالوا: نكفيك ذلك يا رسول الله، قال: أعلم أنكم تكفونني، ولكنكم لستم أقوى مني على السير، ولا أنا بأغنى منكم عن الأجر.

فالعناية بصحتك، وبأهلك وأولادك، وبالعمل لمعرفة الله هذا هو التوسط، أما أن تعتني بجانب وتهمل الآخر فهذا ليس من التوسط في الدين.

أيها الأخوة، أسباب الغلو الهوى، وأسباب الغلو الجهل، وبطاعة الله تبعد الهوى، وبالعلم تبعد الجهل.

من توهم أن التوحيد يعفيه من المسؤولية فهو متطرف :

أيها الأخوة الكرام، الآن لو دخلنا في موضوعات الدين الكبرى واحدة واحدة لنرى أين التطرف وأين الوسطية، التوحيد، المقولة الرائعة: وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، ألا ترى مع الله أحداً، التوحيد أن ترى أن يد الله فوق أيديهم، التوحيد أن تتلو قوله تعالى:

(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)

[سورة الزخرف الآية: 84]

التوحيد أن تتلو قوله تعالى:

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً)

[سورة الكهف]

التوحيد أن ترى أن الله فعال:

(فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)

[سورة هود]

ولكن هل يعفيك التوحيد من المسؤولية؟ هنا التطرف، إذا توهمت أن التوحيد يعفيك من المسؤولية فأنت متطرف، طبيب إسعاف بمستشفى جاءه مريض في الليل قال: لينتظر، مات المريض، يحاسب كإنسان ارتكب بحق هذا الإنسان عملاً خطيراً، لماذا؟ لأنه يقول لك: مات بأجله، لكنك محاسب ما الدليل؟

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ)

[سورة النور الآية: 11]

وبعد ذلك يقول الله عز وجل:

(وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

[سورة النور]

التوحيد لا يعفيك من المسؤولية، تحاسب أنت عن كل الأخطاء مع أن الله سمح بها، من المقولات الدقيقة التي تحل مشكلاتنا: كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق.

إذاً لا تتوقع أيها الأخ الكريم أن التوحيد يعفيك من المسؤولية، إن ألغيت التوحيد فأنت متطرف لأن أصل الدين هو التوحيد.

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

[سورة محمد الآية: 19]

وإذا ظننت أنه يعفيك من المسؤولية فأنت متطرف، أما الوسطية والاعتدال أن تعتقد بالتوحيد اعتقاداً، وأن تحاسب نفسك عن كل الأخطاء سلوكاً.

كلّ شيء في الدنيا له وظيفتان؛ وظيفة إرشادية ووظيفة نفعية :

أيها الأخوة، الآن الموضوعات الكبرى في الإسلام سأبين لكم بتوفيق الله عز وجل متى يكون أحدنا حيالها متطرفاً ومتى يكون معتدلاً، الكون، هذا الكون هو الثابت الأول، لو أننا أغفلنا الكون، لم نفكر فيه، والله عز وجل يقول:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران]

هذا الذي لا يفكر أبداً بالموت، بآيات الله الدالة على عظمته، تطرف وأهمل النظر في الكون، والذي انتفع به في الدنيا فقط تطرف أيضاً، النبي عليه الصلاة والسلام رأى هلالاً فقال:

((هلالُ خَيْرٍ ورُشْدٍ))

[أخرجه أبو داود عن مرسل قتادة]

في هذا الحديث الصغير الجامع المانع بيّن النبي الكريم أنّ كل شيء في الدنيا له وظيفتان، وظيفة إرشادية، ووظيفة نفعية.

لقطة من لقطات الكون :

لقطة واحدة من لقطات الكون: الأرض تدور حول الشمس بمسار إهليلجي، هذه الأرض فيها قطران، قطر كبير، وقطر صغير، فإذا انفصلت الأرض من القطر الصغير هناك احتمال أن تنجذب إلى

الشمس، وإذا انجذبت إلى الشمس تبخرت في ثانية واحدة، لذلك حكمة الله، وقدرته، وعلمه، يرفع سرعة الأرض، إذا رفعت الأرض سرعتها نشأ بها قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة فتبقى على مسارها.

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)

[سورة فاطر الآية: 41]

حكمة بالغة، فإذا وصلت الأرض إلى القطر الأطول ضعفت الجاذبية، ومن الممكن أن تتفلت من جاذبية الشمس، تصبح الحرارة مئتين و سبعين تحت الصفر، عندئذٍ تنتهي الحياة، ما الذي يحدث؟ تخفض الأرض سرعتها لينشأ من خفض السرعة قوة نابذة أقل تكافئ القوة الجاذبة الأقل لتبقى على مسارها،

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)

لو أنها تفلتت من جاذبية الشمس لاحتاجت إلى مليون مليون حبل فولاذي، والحبل الفولاذي يتحمل قوى شد تقدر بمليوني طن، أي الأرض مرتبطة بالشمس بقوة جذب تساوي مليون مليون ضرب مليوني طن، من أجل أن تحرفها ثلاثة ميلي كل ثانية، حتى ينشأ مسار مغلق حول الشمس

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)

لو زرعنا على سطح الأرض مليون مليون حبل، قطر الحبل خمسة أمتار، لفوجئنا أن بين كل حبلين خمسة أمتار فقط، أي أن الزراعة تعطلت، والصناعة تعطلت، والبناء تعطل، وشق الطرقات تعطل، وتعطل كل شيء.

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

[سورة الرعد الآية: 2]

هذه الآيات الكونية تزيدنا إيماناً، هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع

لــو كنت صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

لقطة من لقطات الأرض :

أيها الأخوة، لقطة من الأرض:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية: 53]

قرص لحمي اسمه المشيمة، هذا ينزل مع الجنين، هذا القرص اللحمي يقوم بأعمال يعجز عنها أطباء الأرض مجتمعين، في هذا القرص اللحمي دورة دم الأم مع دورة دم الجنين، من بديهيات الطب، وأغلب الأطباء يعرفون ذلك أنك إذا أعطيت الإنسان دماً من زمرة غير زمرته يموت فوراً بانحلال الدم، وللأم زمرة دم تختلف عن زمرة دم الجنين، ولا يختلطان كيف لا يختلطان؟ قال: بينهما غشاء عاقل، سماه الأطباء الغشاء العاقل لأنه يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء، يأخذ الأوكسجين من دم الأم يضعه في دم الجنين، قام مقام جهاز التنفس، ثم يأخذ السكر من دم الأم يضعه في دم الجنين، قام مقام جهاز الهضم، ثم يأخذ الأنسولين من دم الأم ويضعه في دم الجنين، قام مقام البنكرياس، صار في دم الجنين أوكسجين وسكر وأنسولين، يحترق السكر بالأوكسجين عن طريق الأنسولين، تتولد حرارة، حرارة الجنين سبع و ثلاثون من أين جاءت؟ من هذا الاحتراق، الفضلات أكسيد الكربون، غاز الفحم، الغشاء العاقل يأخذ ثاني أكسيد الكربون من دم الجنين ويضعه في دم الأم، فجزء من نفس الأم نفس جنينها، يد من تصنع هذا؟ علم من؟ حكمة من؟.

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

* * *

ثم إن هذا الغشاء العاقل يأخذ عوامل المناعة من دم الأم ويضعها في دم الجنين، فالجنين محصن من كل الأمراض التي أصيبت بها أمه، وهذا من حكمة الله عز وجل، بل إن المواد السامة لا يسمح الغشاء العاقل بانتقالها إلى دم الجنين فلو أن الأم تناولت طعاماً ساماً هذا السم لا ينتقل إلى جنينها، يد من؟ علم من؟ حكمة من؟.

الغشاء العاقل يعلم ما يحتاج الجنين كل ساعة، من بروتينات، من شحوم، من سكريات، من معادن، من أشباه معادن، من فيتامينات، هذا كله يعلمه بدقة وينفذه، وقد يغير النسب في كل ساعة، أطباء الأرض لا يستطيعون القيام بهذه المهمة، ولو ترك الجنين لأطباء الأرض لمات في ثانية واحدة، هذا الغشاء العاقل سماه الأطباء غشاءً عاقلاً لأنه يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء.

أخواننا الكرام لو أن الجنين احتاج إلى مادة بوتاس، كيف يعلم أمه؟ يطرق عليها الباب؟ يخاطبها؟ تشتهي الأم طعاماً يحتاجه جنينها، فما تشتهي الأم أثناء الحمل هو حاجة الجنين إلى هذا الطعام، هذه آيات الله، قال تعالى:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

والحمد لله رب العالمين

ندوات مصورة - الأردن - محاضرة في إربد: المنتدى العالمي للوسطية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2009-04-10

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان كائن متحرك تحركه حاجات ثلاثة :

أيها الأخوة الكرام، أشكر للمنتدى ـ منتدى الوسطية العالمي ـ ممثلاً برئيسه هذه الدعوة الكريمة، وأشكر محافظة إربد ممثلة برئيسها، وأشكر المجلس النيابي الأردني على هذه الدعوة الكريمة، وأسأل الله أن أكون عند حسن ظنكم، إن وجدتم في محاضرتي ما كنتم تتوقعون فالفضل لله عز وجل، وإلا فحسبكم الله ونعم الوكيل.

أيها الأخوة الكرام، ما الإنسان؟ الإنسان كائن متحرك، ما الذي يحركه؟ أن الله أودع فيه حاجة إلى الطعام والشراب، حفاظاً على وجوده، وأودع فيه حاجة إلى شقه الآخر ذكراً كان أو أنثى، حفاظاً على النوع، وأودع فيه حاجة إلى تأكيد الذات، حفاظاً على بقاء الفكر، حاجةٌ إلى الطعام والشراب، وحاجة إلى الزواج، وحاجة إلى تأكيد الذات.

الآن هو عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، إذا لُبيت حاجات العقل والقلب والجسم تفوق الإنسان، أو كان وسطياً، فإذا لبى حاجة واحدة وأهمل الاثنتين تطرف، والفرق كبير بين التطرف وبين التفوق.

أما أنني في مدينة الشباب، ومع شباب أذكر هذا الأثر القدسي:

((أحب ثلاثاً وحبي لثلاثٍ أشد، أحب الطائعين وحبي للشاب الطائع أشد، أحب المتواضعين وحبي للغني المتواضع أشد، أحب الكرماء وحبي للفقير الكريم أشد، وأبغض ثلاثاً وبغضي لثلاثٍ أشد، أبغض العُصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد، أبغض البخلاء وبغضي للغني البخيل أشد، وأبغض المتكبرين وبغضي للفقير المتكبر أشد))

[ورد في الأثر]

ما من شيء أحب لله تعالى من شاب تائب، إن الله ليباهي الملائكة بالشاب التائب ويقول: "انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي".

حركة الإنسان في هذه الدنيا لا تصح إلا إذا عرف سرّ وجوده و غاية وجوده :

أيها الأخوة الكرام، هذا الإنسان كائن متحرك، سؤال: متى تصح حركته؟ ومتى تنحرف حركته؟ لا بدّ من مثل: إنسان سافر إلى بلد غربي، وجلس في بعض الفنادق، واستيقظ صبيحة اليوم الأول، وسأل: إلى أين أذهب؟ عجيب هذا السؤال! نسأله نحن: لماذا أتيت إلى هنا؟ إن جئت طالب علم فاذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن جئت سائحاً فاذهب إلى المقاصف والمنتزهات، وإن جئت تاجراً فاذهب إلى المعامل والمؤسسات.

الحقيقة الأولى: متى تصح حركة الإنسان؟ إذا عرف سرّ وجوده، وغاية وجوده، لذلك لا يعلو شيءٌ على معرفة سرّ وجودك وغاية وجودك، هذا المثل المحدود لو وسعناه، لماذا نحن في الدنيا؟ سؤال كبير، لئلا تنطبق علينا الآية الكريمة:

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

[سورة الكهف]

لذلك تصح حركة الإنسان في هذه الدنيا إذا عرف سرّ وجوده، لو فتحنا كتاب الله وقرأنا ما فيه، وبحثنا عن آية تتحدث عن سرّ وجودك، لوجدنا قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات]

أي العبادة علة وجودك، ولكن قد يفهم المسلمون أن العبادة أن تصلي، وأن تصوم، وأن تحج بيت الله الحرام، وأن تزكي، وانتهى الأمر، لا، هذه خمسة بنود من خمسمئة ألف بند، العبادة منهج شمولي يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، هذا المنهج الكامل لو طبقه الإنسان لحقق سرّ وجوده، وغاية وجوده.

العلاقة التي ينبغي أن تكون بين العباد و ربهم علاقة حب :

أيها الأخوة الكرام، الإنسان جبل على حبّ وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، وعلى حبّ استمرار وجوده، لا تحب أحداً، أحب نفسك، تقتضي محبتك لنفسك، يقتضي إفراطك في محبة ذاتك، أن تطبق تعليمات الصانع، لأن تعليمات الصانع هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبعها.

(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)

[سورة الملك]

هو الذي خلق الإنسان، هو الذي يعلم طرق سلامته وسعادته، فلذلك

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

من أدق تعريفات العبادة أنها طاعة طوعية، الله عز وجل:

(لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)

[سورة الأعراف الآية: 54]

نحن في قبضته، ولكن ما أراد أن تكون علاقة عباده به علاقة إكراه، قال:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

[سورة البقرة الآية:256]

أراد أن تكون العلاقة به علاقة حب، أن تأتيه طائعاً، أن تأتيه مختاراً، أن تأتيه بمبادرة منك، فلذلك العلاقة التي ينبغي أن تكون بين العباد وبين ربهم هي علاقة حب، والدليل:

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

[سورة المائدة الآية:54]

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

[سورة البقرة الآية:165]

إذاً طاعة طوعية، ممزوجة بمحبةٍ قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، في هذا التعريف الجامع المانع كتل ثلاثة، الجهة الأولى سلوكية، ما لم نلتزم، ما لم نقف عند الحلال والحرام، ما لم نوقع حركتنا وفق منهج الله، ما لم نعطِ لله، ما لم نمنع لله، ما لم نرضَ لله، ما لم نغضب لله، ما لم نصل لله، ما لم نقطع لله، ما لم نطبق منهج الله، لن نقطف من ثمار الدين شيئاً، يبقى الإسلام ثقافة، وأفكاراً، ونصوصاً نقرأها، ونحفظها، ونتداولها، وبيننا وبين حقيقة الدين ما بين السماء والأرض.

حلاوة الإيمان و حقائق الإيمان :

أخوتنا الكرام، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حَلاوَةَ الإيمان))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك]

اتضح أن حلاوة الإيمان شيء وأن حقائق الإيمان شيءٌ آخر، حلاوة الإيمان ولا أبالغ كأن تملك ألف مليون دولار، وحقائق الإيمان أن تنطق بها فقط، بين أن تنطق بها وبين أن تملكها، هذا هو الفرق بين حقائق الإيمان وحلاوة الإيمان، إذا ذقت حلاوة الإيمان تضحي بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس، إذا ذقت حلاوة الإيمان كنت إنساناً آخر، كنت رقماً صعباً، لا يوجد شيء يغيرك.

((بَدَأَ الإسلامُ غريباً، وسَيَعُودُ غريباً كما بدأ، فطُوبَى للغرباءِ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

أحد الصحابة ذاق حلاوة الإيمان، اسمه خبيب بن عدي، أراد كفار مكة أن يصلبوه انتقاماً لقتلى بدر، سأله أبو سفيان: أتريد أن يكون محمد مكانك؟ ـ دققوا فيما قال ـ قال: والله ما أحب أن أكون في أهلي وفي ولدي، وعندي عافية الدنيا ونعيمها ـ أي بالمصطلحات المعاصرة، بيت فخم، واسع، أربعمئة متر، إطلالة جميلة، جميع الأجهزة الكهربائية موجودة، الثلاجة ممتلئة بالفواكه، وأنواع الأغذية النفيسة، والزهور، والورود، والعطور ـ والله ما أحب أن أكون في أهلي وفي ولدي، وعندي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله بشوكة، هذا الصحابي الجليل ذاق حلاوة الإيمان.

والله أيها الأخوة لو ذقنا حلاوة الإيمان لكنا أناساً آخرين، هؤلاء الصحابة الكرام ذاقوا حلاوة الإيمان، ضحوا بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس، وصلت راياتهم إلى أطراف الدنيا، هؤلاء إن كنا بشراً هم فوق البشر، وإن كانوا بشراً فنحن لسنا بشراً.

شروط حلاوة الإيمان :

أيها الأخوة الكرام، أركز على حلاوة الإيمان، حلاوة الإيمان لها ثلاثة شروط: أن يكون الله في قرآنه ـ أي الأمر والنهي ـ ورسوله في سنته ـ الأمر والنهي ـ أحب إليه مما سواهما.

والآن لو سألت أي إنسان بالعالم الإسلامي: أليس الله ورسوله أحب إليك من سواهما؟ أنا لا أشك أن واحداً يقول: لا، ليس هذا هو المعنى، حينما يكون الأمر القرآني والأمر النبوي يتناقض مع مصالحك القريبة والمتوهمة، فتقف إلى جانب الأمر الإلهي، وتضع قدمك فوق مصالحك المتوهمة، عندئذٍ تذوق حلاوة الإيمان، وإذا ذقت حلاوة الإيمان أقسم لك بالله ستنعكس جميع المقاييس عندك.

حلاوة الإيمان أن تتصل بالله و تؤمن به :

أخوتنا الكرام، يقع على رأس الهرم البشري زمرتان، الأقوياء والأنبياء، الأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب، وشتان بين أن تملك قلب الإنسان وبين أن تملك رقبته، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء عاشوا للناس والأقوياء عاش الناس لهم، والناس جميعاً تبع لقوي أو نبي، لذلك أحب الناس الأنبياء وخافوا من الأقوياء، والآن بطولة الأقوياء أن يتخلقوا بأخلاق الأنبياء حتى يحبهم الله.

أيها الأخوة، حلاوة الإيمان شيء، والله لم أكن مبالغاً بين أن تملك ألف مليون دولار وبين أن تنطق بها، أي واحد منا ينطق بكلمات الإسلام، أي ثقافة الإسلام معلومات، نصوص نقرأها، نحفظها، ننطق بها، نتحرك بها، نرقى بها عند الناس، ولكن حلاوة الإيمان شيءٌ آخر، حلاوة الإيمان أن تتصل بالله.

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه عنا وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب و جئتنا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرةً عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

* * *

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتيـاقاً لقربنـا

فما حبنا سهلٌ وكل من ادعى سهولتـه قلنـا له قد جهلتنا

* * *

طلب العلم ركن أساسي من أركان العبادة :

أيها الأخوة الكرام، العبادة طاعة طوعية، ليست قسرية، ممزوجة بمحبة الله، ما أحب الله من أطاعه ولم يحبه، وما عبده من أحبه ولم يطعه، أساسها معرفة يقينية، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، العقل غذاؤه العلم، أودع الله فيك قوة إدراكية، حينما تلبي الحاجة العليا فيه تنتمي إلى بني البشر، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

يا بني العلم خيرٌ من المال، لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، يا بني مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

إذاً من أركان العبادة طلب العلم، أنت إذا طلبت العلم أكدت الجانب الإنساني في شخصيتك، ومن أركان العبادة أيضاً أن تسعد بالقرب من الله عز وجل، طاعة طوعية، ممزوجة بمحبةٍ قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، ما منكم واحد وأنا معكم إلا ويتمنى السلامة والسعادة، والسلامة والسعادة لا تتحققا إلا بمعرفة الله وطاعته، أزمة أهل النار بالنار أزمة علم، والدليل:

(لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

[سورة الملك]

السلامة والسعادة لا تتحققا إلا بمعرفة الله وطاعته :

أنت حينما تبحث عن الحقيقة، أنت حينما تطلب العلم تبحث عن سلامتك، وعن سعادتك، ما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل، من أعداؤنا الحقيقيون؟ هناك أعداء تقليديون، يقول لك: الصهيونية العالمية، الاستعمار، لا، أعداؤنا الحقيقيون الجهل أولاً، والجهل ثانياً، والجهل ثالثاً، أعدى أعدائنا الجهل، والجاهل يفعل في نفسه ما لم يستطيع عدوه أن يفعله به.

أيها الأخوة، الحقيقة الدقيقة: أن هذا الشاب، ما الذي يغذيه؟ زارنا عالم كبير مختص بصناعة القادة، إلى دمشق، درس شاشة الصغار، المفاجأة أن ثمانية وخمسين بالمئة من مشاكل الجنس من نصيب الصغار، ولو أفلام كرتون، وسبع وعشرين بالمئة من مشاكل العنف من نصيب الصغار، والباقي سحر وشعوذة، فإذا سلمت ابنك إلى الشاشة ـ ثمانمئة فضائية ـ ماذا تنتظر منه؟ لا بدّ من تغذية صحيحة، لا بدّ من إسلام وسطي، لا بدّ من إسلام معتدل، لا بدّ من إسلام يجمع مصالح الدين، والدنيا، والجسم، والعقل، والنفس.

معجزة النبي الكريم معجزة مستمرة إلى نهاية الحياة :

أيها الأخوة الكرام، والآن حينما يرسل الله نبياً، يقول هذا النبي: أنا نبي الله، أو حينما يرسل رسولاً، ويقول: أنا رسول الله، معه منهج، معه افعل ولا تفعل، فالذي أَلِفَ التفلت بمنهج الله يكذب هذا الدليل.

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً)

[سورة الرعد الآية: 43]

الآن دققوا، كيف يشهد الله لنبيه أنه نبيه أو لرسوله أنه رسوله؟ يجري على يديه خرق لنواميس الكون، سيدنا إبراهيم ألقي في النار فلم تحرقه، سيدنا موسى:

(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)

[سورة الأعراف]

سيدنا صالح أخرج الناقة من الجبل، ولكن هؤلاء الأنبياء كانوا لأقوامهم فقط أما النبي الكريم فلكل البشر، لكل الأمم والشعوب.

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

[سورة الأنبياء]

لأنه لكل البشر وهو خاتم الأنبياء، وكتابه خاتم الكتب، إذاً لابد أن تكون معجزته مستمرة إلى نهاية الحياة، ولن تكون مستمرة إذا كانت حسية، لأن المعجزة الحسية كتألق عود الثقاب، تتألق وتنطفئ، وتصبح خبراً يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم آية من آيات الله الدالة على عظمته :

كيف يشهد الله للبشر جميعاً في أطراف الأرض أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن؟ من خلال الإعجاز العلمي، مثلاً: أرسلوا رائداً فضائياً قبل سنوات عدة، حينما كانت مركبته ضمن الطبقة الهوائية التي تزيد عن خمسة وستين ألف كيلو متر، يرون كل شيء أمامهم، فجأةً صاح رائد الفضاء: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، كيف؟ لأنه عندما تجاوزوا طبقة الهواء ألغيت حالة تناثر الضوء، الشمس حينما تسلط على ذرات الهواء بعض هذه الذرات تعكسها على الذرات الأخرى، ففي الأرض أشعة شمس وضوء شمس، لذلك قال: لقد أصبحنا عمياً هذا قيل في محطة الفضاء في أمريكا، فالقرآن الكريم يقول:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر]

من كان يعلم أن الإنسان لو صعد سيقول لقد أصبحنا عمياً؟ هذه الآية نزلت قبل ألف و أربعمئة عام، محطة فضائية "ناسا" عرضت في موقعها المعلوماتي صورة لوردة جورية لا يشك لثانية واحدة أنها وردة جورية، بأوراقها الحمراء الداكنة، ووريقاتها الخضراء الزاهية، وكأسها الأزرق في الوسط، كتب تحت هذه الوردة: صورة نجم اسمه عين القط، يبعد عن الأرض ثلاث آلاف سنة ضوئية، افتح القرآن الكريم لتقرأ قوله تعالى:

(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

[سورة الرحمن]

تركب طيارة 777 بالدرجة الأولى، مقاعد كبيرة، تصبح سرراً، الطعام، والشراب، والعصير، والمجلات، الجو معتدل، تفتح القرآن الكريم بسورة النحل:

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة النحل]

إذاً هو من عند الله، لأن الله يعلم ما سيكون، علم ما كان، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

النظرية العملاقة التي قلبت مفاهيم الفيزياء مدرجة في آية واحدة في القرآن الكريم :

أيها الأخوة، لذلك الله عز وجل أورد في كتابه الكريم آيات كثيرة، من هذه الآيات:

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

[سورة الحج]

العرب تعد السنة القمرية، والقمر يدور دورة حول الأرض كل شهر، هذه الدورة كم من الكيلومترات تقطع؟ بحساب بسيط يمكن أن نحسب نصف قطر المسافة بين مركز الأرض ومركز القمر، من خلال نصف قطر القمر ونصف قطر الأرض مع المسافة بينهما، هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، لو ضربنا هذا الرقم باثنين، لكان القطر، لو ضربنا بالبي 3.14 لكان المحيط، لو ضربناه باثني عشر السنة، ضرب ألف، ألف سنة، ابنك الصغير مع آلة حاسبة خلال دقائق يحسب لك كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، هذا الرقم

(وَإِنَّ يَوْماً)

لو قسم هذا الرقم على ثواني اليوم، ستون بستين، بأربع وعشرين، المفاجأة الصاعقة الناتج سرعة الضوء 299752، هذا الرقم يوضع بأكاديمية العلوم بباريس، لو قسمت ما يقطعه القمر حول الأرض بألف عام على ثواني اليوم، لكانت سرعة الضوء، أي:

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ)

ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد.

من يصدق نظرية أينشتاين النسبية التي تزهو بها أوربا، مدرجة في القرآن بكلمات، هذا الموضوع ألقي بمؤتمر الإعجاز العلمي الخامس، وعندي أصل الموضوع، أكثر من ثماني صفحات، ملخصه هذا:

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

الآيات العلمية في القرآن الكريم :

من يصدق أن بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية؟ لو أن هناك طريقاً لهذا النجم وركبنا مركبة أرضية لاحتجنا إلى خمسين مليون عام، متى نصل إلى نجم القطب؟ بعده أربعة آلاف سنة ضوئية، متى نصل إلى المرآة المسلسلة؟ مجرة بعدها عنا مليونا سنة ضوئية، متى نصل إلى بعض النجوم التي اكتشفت حديثاً؟ بعدها عنا يقدر بأربع و عشرين مليار سنة ضوئية، أربع سنوات ضوئية تحتاج إلى خمسين مليون عام، إذاً: أربع و عشرون ألف مليون سنة ضوئية كم يحتاج الوصول إليها؟ الآن قرأت القرآن الكريم:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة]

لو أن عالم فلك قرأ هذه الآية، ووقف عند كلمة مواقع لخر ساجداً لله، لماذا؟ قال: إن كلمة مواقع تعني أن صاحب الموقع ليس بالموقع، هذا النجم كان هنا وأصدر ضوءاً نحو الأرض، وبقي الضوء يمشي أربع و عشرين مليار سنة، وصل إلينا فرأيناه، والنجم سرعته تقترب من سرعة الضوء، مئتا و أربعون ألف كيلومتر في الثانية، النجم أين هو الآن؟ هذا المكان ليس نجماً، لو أن الآية فرضاً: فلا أقسم بالمسافات بين النجوم لما كان قرآناً،

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

أخواننا الكرام، الأرض تدور حول الشمس، بين الأرض والشمس 156مليون كيلومتر، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، أي مليون وثلاثمئة ألف أرض تدخل في جوف الشمس، وبينهما 156مليون كيلومتر، وفي برج العقرب نجمٌ صغير أحمر اللون اسمه قلب العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.

هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يحفظ وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك العمر في المقال شنيـعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعتـه إن المحب لمن يحب مطيـع

* * *

((إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكر أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنتهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))

[رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء]

لو نزلنا من السماء، من المجرات، من المذنبات، من الشموس، من هذه الآيات العظيمة.

الموت ينهي كل شيء فلا يليق بكرم الله أن ينقطع :

أخواننا الكرام، الأرقام المتوسطة، الكون فيه آلاف بلايين المجرات، ومجرتنا درب التبانة فيها آلاف بلايين النجوم، والكواكب، والشموس، والأرض لا شيء أمام هذا الكون العظيم لذلك:

((ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إلي من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

ويا رب ماذا فقد من وجدك؟ وماذا وجد من فقدك؟ أخواننا الذين درسوا الرياضيات، واحد بالأرض وأصفار ليس للحائط هنا، بل للشمس، 156 مليون كم، كل ميلي صفر، واحد بالأرض وأصفار إلى الشمس، وكل ميلي صفر، هذا الرقم ضعه صورة لكسر مخرجه لانهاية قيمته صفر، الدنيا مهما عاش الإنسان فيها، مهما جمع من ثروات، مهما اعتلى مناصب، ما دام هناك موت ينهي غنى الغني وفقر الفقير، وقوة القوي وضعف الضعيف، ومرض المريض وصحة الصحيح، ووسامة الوسيم ودمامة الدميم، وذكاء الذكي ومحدودية المحدود، ما دام الموت ينهي كل شيء فلا يليق بكرم الله أن ينقطع.

أيها الأخوة الكرام، القضية دقيقة جداً، والله الذي لا إله إلا هو الإنسان عندما يعاين القبر يزهد في الدنيا، يزهد بها زهداً كبيراً لأنها منقطعة، ولا يليق بعطاء الله أن ينقطع.

البعوضة من آيات الله الدالة على عظمته :

لو انتقلنا الآن فجأة من المجرات إلى أحقر مخلوق بحياتنا، البعوض، إذا الواحد قتل بعوضة هل يعد قاتلاً؟ بعوضة! أحقر مخلوق بحياتنا، هذه البعوضة بشكل غريب وردت في القرآن الكريم:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً)

[سورة البقرة الآية: 26]

بعد أن اكتشف المجهر الالكتروني الذي يكبر أربعمئة ألف مرة، وضعت البعوضة تحت المجهر فوجدوا في رأسها مئة عين، وفي فمها ثمانية و أربعون سناً، وفي صدرها ثلاثة قلوب، قلب مركزي، وقلب لكل جناح، وفي كل قلب أذينان، وبطينان، ودسامان، وتملك البعوضة جهازاً لا تملكه الطائرات، تملك جهاز استقبال حراري، رادار، ترى الأشكال لا بألوانها، ولا بأشكالها، ولا بأحجامها، ولكنها ترى الأشياء بالحرارة فقط، طفل نائم، حرارته سبع و ثلاثون درجة، لا ترى إلا الطفل، الآن ينام أخوان على سرير واحد، يستيقظ الأول وقد ملئ بلسع البعوض، والثاني لم يصبه شيء، معها جهاز تحليل دم ما كل دم يناسبها، تحلل وتمتص، معها جهاز تمييع دم، لأنه دم الإنسان سمج لا يسري في خرطومها تميعه، معها جهاز تخدير تخدر الإنسان، وتمص الدم، عندما ينتهي مفعول المخدر يشعر بلسعة يظنها على يده يضربها فإذا هي بالجو تضحك عليه.

مئة عين في رأسها، وثمانية وأربعون سناً في فمها، وثلاثة قلوب في صدرها، ولكل قلب أذينان، وبطينان، ودسامان، جهاز استقبال حراري، حساسية هذا الجهاز، إذا إنسان قاس درجة حرارة ابنه

وكان بصره حاداً جداً يقول لك: حرارته سبع و ثلاثون وثلاثة أرباع الدرجة، البعوضة حساسية جهازها الاستقبال الحراري واحد على ألف من الدرجة المئوية.
معها جهاز تحليل دم، جهاز تمييع، جهاز تخدير، في خرطومها ست سكاكين، تلك الصور عرضتها في الفضائية السورية في درس علمي، صور معروضة بمجهر إلكتروني معها سكاكين، أربع سكاكين لإحداث جرح مربع، وسكينان يلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم،

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً)

بأرجل البعوضة مخالب ومحاجم، مخالب إذا وقفت على سطح خشن، ومحاجم إذا وقفت على سطح أملس.

خلق الإنسان من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة الكرام، الحقيقة أن معرفة الله شيء، وأن نعبده عبادة من دون معرفة شيء آخر، معرفة الله أصل الدين، وهذا الكون بمجراته، بكازارته، بمذنباته، بأرضه، بسمائه، بأطياره، بأسماكه، خلقه الخالق سبحانه.
في رأس الإنسان ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، في كل شعرة.
آلات التصوير الاحترافية رقمية، بكل ميليمتر من هذه الآلات الاحترافية الرقمية عشرة آلاف مستقبل ضوئي، بشبكية العين بكل متر هناك مئة مليون مستقبل ضوئي.

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

[سورة البلد]

هناك مادة في العين تمنع تجمد العين، لو ذهب إنسان إلى فنلندا، الحرارة هناك تقدر بسبعين تحت الصفر يفقد بصره، الله وضع بماء العين مادة تمنع التجمد.
ماذا أقول لكم؟ وأنت نائم غارق في النوم، اللعاب يزداد في فمك، تذهب رسالة إلى الدماغ، اللعاب ازداد، يأتي أمر من الدماغ إلى لسان المزمار يغلق طريق الرئتين ويفتح طريق المريء تبلع اللعاب، وأنت نائم ينضغط القسم تحت الجهاز العظمي، وهناك أماكن إحساس بالضغط تُبلّغ الدماغ انضغطنا، تضيق الأوعية، تخدر الرجل، فيأتي أمر من الدماغ وتقلب قلبة، الله تعالى قال:

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

[سورة الكهف الآية: 18]

الإنسان يقلب بالليل من ثمان و ثلاثين إلى أربعين مرة، لو صورنا إنساناً نائماً كل فترة يقلب، الحكمة مرة ذات اليمين ومرة ذات الشمال، لو قلب مرتين نحو اليمين لوقع من أعلى السرير

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

الآيات في جسم الإنسان تفوق حدّ الخيال :

والله يا أخوان هناك آيات في الجسم تفوق حدّ الخيال،

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

الشم؛ هناك عشرون مليون عصب شمي، وكل عصب ينتهي بسبعة أهداب، الأهداب مغمسة بمادة كيميائية تتفاعل مع الرائحة، ينتج من هذا التفاعل شكل هندسي هو رمز هذه الرائحة، يشحن للدماغ، عشرة آلاف ذاكرة شمية، يقال: هناك كمون في الأكل، كيف عرف أنه يوجد كمون بالأكل، أو نعنع في الشاي، بعملية معقدة جداً.

أنت تمشي في الطريق سمعت بوق سيارة.

أتحسب أنك جرم صغير وفي انطوى العالم الأكبر

***

هناك جهاز بالدماغ يحسب تفاضل وصول الصوتين إلى الجمجمة، كم هو التفاضل؟ واحد على ألف و ستمئة و عشرين جزءاً من الثانية، سيارة هنا أطلقت بوقها دخل صوتها إلى هذه الأذن قبل هذه الأذن، الفرق بينهما واحد على ألف و ستمئة و عشرين جزءاً من الثانية، هذا الجهاز يدرك أن المركبة تأتي من اليمين أم من اليسار.

ماذا أقول لكم؟ الطفل الآن يولد، هناك آلية معقدة جداً سماها العلماء منعكس المص، لو لم يكن هذا المنعكس لما كان هناك محاضرة، ولا كان هناك إربد كلها، ولا الأردن، ولا سوريا، ولا مكان في العالم، لأن الولد حينما يولد فوراً يضع فمه على ثدي أمه ويمص، الامتصاص عملية معقدة، يحكم شفتيه على حلمة ثدي أمه ويسحب الهواء، من علمه ذلك؟ لو أن الطفل لا يملك هذا المنعكس يموت فوراً، هل هناك قوة تعلمه؟ يا بابا انتبه يجب أن تمتص ثدي أمك، لا يوجد إمكانية.

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

يا أخوان والله قواعد الإيمان بين أيدينا، والله طعامك، وشرابك، وصحتك، وسمعك، وبصرك، وأنفك، وشمك، وأسنانك، وأجهزتك، الكبد يقوم بخمسة آلاف وظيفة، بالكلية هناك طريق طوله مئة كيلو متر، ما هذا الخلق المعجز؟ قال تعالى:

(وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ)

[سورة السجدة]

الشاب المؤمن عندما يفكر في هذه الآيات يعلم من هو الله، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أرتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

تعريف الحق :

أخواننا الكرام، ما هو الحق؟ أنا أتصور الحق دائري، تتقاطع فيها أربعة خطوط، خط النقل الصحيح، وخط العقل الصريح، العقل تبريري وهناك عقل صحيح، مع خط الفطرة السليمة، وهناك فطرة منطمسة، مع خط الواقع الموضوعي، فالحق ما جاء به وحي السماء، القرآن كله ثابت، أما الحديث فهناك ضعيف وهناك صحيح، ما جاء به النقل الصحيح، وقبله العقل الصريح الغير التبريري، وارتاحت له الفطرة السليمة، وأكده الواقع الموضوعي.

هذا هو الحق، وهذا هو الإنسان المسلم.

الورقة الرابحة الأولى في حياة المسلمين هم الشباب فالشباب هم المستقبل :

أيها الأخوة، شيء دقيق جداً أتمنى أن يكون واضحاً عندنا جميعاً، أن الشباب هم المستقبل، صدقوا ولا أبالغ، الورقة الرابحة الأولى في حياة المسلمين هم الشباب، الشباب هم المستقبل، والشيوخ هم الماضي، والكهول هم الحاضر، هناك أشخاص يمثلون الحاضر هم الكهول، والشيوخ يمثلون الماضي، والشباب يمثلون المستقبل.

سيدنا أسامة ابن زيد، عمره سبعة عشر عاماً، عينه النبي قائداً لجيش فيه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وكان يركب أسامة على ناقته، والصديق يمشي، فأسامة مؤدب جداً، قال له: يا خليفة الله لتركبن أو لأنزلن، قال: والله لا ركبت، ولا نزلت، وما عليّ أن تغبر قدماي ساعة في سبيل الله.

ما هذا الدين العظيم؟ من هو الشاب؟ كان الشاب معه حفنة طحين أو بعض تمرات، راكب على فرسه، ومعه سيفه، وذاهب إلى الجهاد، الآن همبرغر وبيبسي وعلى الملعب اختلف الوضع.

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

لن لتأبيد النفي.

إدراك الحقيقة المرة أول مرحلة في النصر :

فيا أيها الأخوة الكرام، نحن إذا عرفنا ربنا، والله الذي لا إله إلا هو زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، إله يقول:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

[سورة النور الآية:55]

بربكم الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، هل نحن مستخلفون في الأرض؟ هل نحن ممكنون؟ هل نحن آمنون؟ لا والله، هذه حقيقة مرة، ودائماً عودوا أنفسكم على الحقيقة المرة، لأن إدراك الحقيقة المرة أول مرحلة في النصر، قبل الحقيقة المرة هناك خلل، الخلل عندنا:

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)

[سورة الشورى]

الله عز وجل:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

فقط:

(يَعْبُدُونَنِي)

[سورة النور الآية:55]

فإذا أخذ الفريق الثاني بما عليه فالفريق الأول وهو الله جلّ جلاله قال:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

[سورة مريم]

قصص يُقارن فيها بين الغرب و الشرق :

مرة كنت بباريس ألقيت محاضرة بمؤتمر، بدأت المحاضرة بقصص ثلاثة، القصة الأولى: تمثل العالم المتفلت، شاب أحب شابة، فاستأذن أباه من الزواج منها، قال له: لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري، كان أبوه زير نساء، فلما أحبّ الثانية استأذن والده أيضاً أجابه الجواب نفسه، قال: إنها أختك وأمك لا تدري، فلما أحبّ الثالثة استأذن والده فقال: إنها أيضاً أختك وأمك لا تدري، فضجر هذا الشاب، حدث أمه بهذا، فقالت له: تزوج أياً شئت فأنت لست ابنه وهو لا يدري، هذا الغرب الذي نريد أن نكون مثله، والله بلادنا فيها مروءة، فيها ورع، فيها شهامة.

مرة كنت في أستراليا رئيس الجالية والله بكى في المطار، قال لي: بلغ أخواننا في الشام ـ الشام الكبرى سوريا، والأردن، ولبنان، وفلسطين ـ قال لي: بلغ أخواننا في الشام أن مزابل الشام خير من جنات بأستراليا، قلت له: كيف؟ قال لي: أنت مسلم وابنك مسلم، أما احتمال أن يكون الابن ملحداً بأستراليا50%، أو واضع حلقة في أذنه اليمنى، ومعناها سيئ جداً، و باليسرى أسوأ، وبالاثنتين أسوأ وأسوأ.

والله ألقيت بالشام خطبة أنه لكم رسالة من أستراليا، أن احمدوا الله أنه يوجد عندكم تفاهم أسري، الأب محترم، الابن محترم، عندنا كماليات بقية باقية من إسلامنا العظيم، نحن بنعمة كبيرة أيها الأخوة عندنا حياء، عندنا خجل، عندنا الأب أب، والأم أم، لا أحد ينسى ميزات بلده، لا تنسوا ميزات بلدكم، عندنا بقايا، نحن مقصرون طبعاً ، لكن عندنا بقايا.

أو نحن نشبه وضع إنسان معه التهاب معدة حاد، له طبيب متفوق جداً، أعطاه حمية قاسية جداً، و إنسان آخر معه ورم خبيث منتشر بأمعائه، فسأل المريض الثاني: ماذا آكل؟ قال له: كُلْ ما شئت، أيها أفضل أن تكون خاضعاً لحمية شديدة جداً ـ نحن الآن في العناية المشددة إن شاء الله ـ وإنسان شرد عن الله شرود البعير:

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً)

[سورة الأنعام الآية:44]

الله تعالى لن يتخلى عن المسلمين أبداً وأعطاهم جرعات منعشة :

فيا أيها الأخوة الإسلام عظيم، الله تعالى لم يتخلَّ عنا أبداً، وأعطانا جرعات منعشة، ألا ترون انهيار النظام العالمي أكبر دليل على عظمة الإسلام، لأن الله عز وجل حرم المتاجرة بالثمن، العالم الذي تاجر بالثمن فقد نصف ثروته الآن، مسموح أن نتاجر بالسلعة أو المنفعة منها، هم تاجروا بالثمن، ممنوع بيع اثنين، البنك الأول الذي فلس باع اثنين.

فيا أيها الأخوة الله عز وجل يرينا الآيات بشكل مستمر

والحمد لله رب العالمين

الفهرس